تعليمية الترجمة وتحديات سوق العمل

أ.د ياسمينة بن برينيس

معهد الترجمة

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

تطورت مهنة الترجمة تطورا كبيرا وأصبحت مهنة مستقلة بذاتها تمارس في المؤسسات الصناعية والهيئات الدبلوماسية والشركات المختلفة. وقد لا نأتي بجديد إذا قلنا أنها احتلت مكانة الصدارة في هذا النصف الثاني من القرن العشرين، تبوأت مواقعها وأصبحت عملية ضرورية في كل نشاط اقتصادي «فلقد حدث في العالم ما يسمى بـ"الانفجار المعلوماتي", وارتفع بشكل حاد حجم المعلومات التي يتم تبادلها بين الشعوب والدول، وتنامت الاتصالات الدولية وظهرت دول جديدة على خارطة العالم الجديد والعديد من المنظمات الدولية والحركات العالمية والاتحادات الإقليمية واستدعت الثورة العلمية – التقنية الحاجة الكبيرة لتبادل المعلومات العلمية بين مختلف الدول، وازداد بشكل لا يقاس حجم التجارة الدولية والنشاط الدبلوماسي والمراسلات الدولية واتسعت العلاقات الثقافية بين الشعوب...وقد نجم عن هذه التغيرات في حياة البشرية حاجة لم يسبق لها مثيل للترجمات. وكان لابد من إعداد مترجمين بشكل هادف ومنتظم. فظهرت في الكثير من الدول مؤسسات تعليمية وضعت لنفسها مهمة تعليم مترجمين محترفين.

والترجمة ليست بالمهنة البسيطة السهلة وإنما هي حرفة معقدة تحتاج إلى تكوين متين متواصل يسهر عليه أساتذة أكفاء. فهي تدرس اليوم في أكبر

الجامعات وأعرقها ليس فقط بهدف تكوين مترجم جيد، وإنما بهدف الحصول على مترجم

محترف قادر على المنافسة في سوق العمل العالمي وليس المحلي فقط. ومن أجل هذا، فإن مختلف نقابات المترجمين بالخارج، خاصة في كندا، و هي مزدوجة اللغة، وفي أوروبا الموحدة التي تضطر إلى التعامل بلغات عديدة مختلفة في المؤتمرات والتعاملات الرسمية فيما بين الدول الأعضاء، حرصت على وضع معايير قياسية عالمية لضمان جودة الظروف المتعلقة بعملية الترجمة: من تدريس، وتدريب، ومنح شهادات علمية لدارسي الترجمة، وإعطاء التصاريح بمزاولة المهنة. كما أنها أقامت قواعد بيانات مصطلحية عملاقة تتيح للمترجمين من مختلف اللغات الأجنبية إيجاد أدق مقابل للمصطلحات المتخصصة وتوحيد استخدامها. ولم تترك هذه النقابات شيء للصدفة، فقد وضعت أسسا لعقود المترجمين وحددت مسألة الأجور ووضعت لها معايير بحسب صعوبة النص، ومدى ما يتطلبه من عمليات بحث و توثيق، والزمن اللازم لإنجازه تبعا لكميته، كما أدخلت في هذه الحسابات خبرة المترجم ومهاراته، بل ومدى شهرته أيضا، ووضعت ميثاق شرف لأخلاقيات المترجم –خاصة مترجم النصوص التقنية والبراغماتية–يضمن الالتزام بالسرية التي تكفل الحفاظ على خصوصية المعلومات التي يسلمها العميل للمترجم بحيث يمكن مقاضاته في حالة الإخلال بهذه السرية.

إنها إذن مهنة تحتاج إلى تكوين جيد ومتين، تكوين يعتمد على الوسائل الحديثة التي تنمي قدرات الطلبة، فلقد شهد العقد الأخير من القرن العشرين تقدما مذهلا في مجال التكنولوجيا إلى درجة أن العالم أصبح قرية كونية صغيرة يتفاعل سكانها مع بعضهم البعض بدون حواجز جغرافية أو

ثقافيـــة. ولـــيس غريبـــا أن يوصـــف المجتمـــع المعاصـــر بأنـــه العـــالم الصـــغير الـــذي تتـــدفق فيـــه المعلومـــات فـــي ســـهولة ويســـر، بحيـــث يمكـــن الحصـــول عليهـــا مـــن مصـــادر متنوعـــة دون عنـــاء كبيـــر، وذلـــك بفضـــل شـــبكة الانترنـــت العالميـــة والقنـــوات الفضـــائية... فهـــذا العصـــر هـــو عصـــر الإعـــلام والاتصـــال والحاســـوب... ومـــن الضـــروري أن يتفاعـــل الطلبـــة فـــي أقســـام الترجمـــة مـــع هـــذه الأدوات الأساســـية تفاعلا أساسيا... .

وفـــي الواقـــع لـــم يعـــد المتـــرجم اليـــوم يعتمـــد علـــى القلـــم والأوراق فحســـب، بـــل علـــى الآليـــات الحديثـــة مثـــل بـــرامج الترجمـــة والخـــدمات الموجـــودة علـــى الويـــب والقـــواميس الإلكترونيـــة والمكتبـــات الرقميـــة. فهـــو مطالـــب بالاحترافيـــة، حتـــى يتســـنى لـــه تخطـــي حـــدود المحليـــة فـــي ظـــل دخـــول مختلـــف الاتفاقيـــات العالميـــة حيـــز التنفيـــذ. ولعلنـــا نـــدرك أنهـــا مســـألة وقـــت ونصـــبح ملـــزمين بتطبيـــق هـــذه المعـــايير، وإلا فلـــن يصـــبح للمتـــرجم "غيـــر المطـــابق للمواصـــفات" أي مكـــان فـــي الســـوق العالميـــة أو المحليـــة علـــى حـــد ســـواء. وفـــي ظـــل هـــذا التنـــافس العـــالمي، يتعـــين إعـــادة النظـــر فـــي تـــدريب دارس الترجمـــة بشـــكل خـــاص، علـــى آليـــات جديـــدة تكســـبه المهارات اللازمة.

لابـــد، إذن، لـــدارس الترجمـــة أن يتلقـــى تكوينـــا جيـــدا ومنظمـــا يتـــيح لـــه لمزاولـــة عملـــه فـــي المؤسســـات والـــدوائر المختلفـــة أي أن نعـــده بعـــدة كاملـــة، تخولـــه مقاربـــة النصـــوص المختلفـــة، العامـــة والمتخصصـــة. وتتـــراوح هـــذه العـــدة بـــين تملـــك اللغتـــين الهـــدف والمصـــدر والبحـــث الموثـــق وتغذيـــة المخـــزون المعرفـــي والقـــراءة التفاعليـــة وتقنيـــات التحريـــر والتعبيـــر والإلمـــام بمختلـــف النظريـــات الترجميـــة... وقـــد

لا نـــأتي بجديـــد إذا قلنـــا إن هـــذه المـــدارس لا تعـــود طلبتهـــا الاعتمـــاد علـــى حســـهم الفطـــري وإنمـــا الاســـتناد إلـــى تمكـــنهم مـــن تجـــاوز الصـــعاب التـــي يواجهونهـــا ا أثنـــاء إنجـــاز عملهـــم. فأصـــول تـــدريس الترجمـــة لا تمكـــن فـــي إعطـــاء وصـــفات جـــاهزة للتطبيـــق فقـــط، بـــل فـــي حمـــل الطـــلاب علـــى التفكيـــر منطقيـــا وعلـــى إيجـــاد حلـــول للمشكلات التي يصطدمون بها.

إن هـــذه المـــدارس تعتمـــد فـــي تدريســـها للترجمـــة المتخصصـــة علـــى اســـتراتيجيات تمكنهـــا مـــن تحقيـــق الأهـــداف المرجـــوة، اســـتراتيجيات واضـــحة المعـــالم، يـــتم تـــدريب الطـــلاب علـــى تنفيـــذ مراحلهـــا بدقـــة ومهـــارة. وقبـــل التطـــرق إلـــى مكوناتهـــا لا بـــأس أن نتطـــرق إلـــى مفهـــوم الترجمـــة المتخصصـــة والأهـــداف الكامنـــة وراء تدريسها.

مـــا المقصـــود بلغـــات الاختصـــاص: إنهـــا لغـــات الاختصـــاص او كمـــا يســـميها الـــبعض لغـــات الأغـــراض الخاصـــة: ضـــرب مقـــنن ومـــنمط مـــن ضـــروب اللغـــة يســـتعمل لأغـــراض خاصـــة وفـــي ســـياق حقيقـــي، أي يوظـــف لإيصـــال معلومات ذات طابع تخصصي على أي سياق من المستويات:

علـــى أكثرهـــا تعقيـــدا، أي بـــين الخبـــراء العـــارفين، أو علـــى المســـتوى الأقـــل تعقيـــدا، بهـــدف نشـــر المعرفـــة بـــين المهتمـــين بالحقـــل، وتلقيـــنهم أصـــوله، وذلـــك بـــأكثر الســـبل إيجازا ودقة ووضوحا.

إن لغـــة الاختصـــاص هـــي اللغـــة التـــي تســـتعمل فـــي قطـــاع معـــين مثـــل القطـــاع الطبـــي أو القطـــاع القـــانوني، هـــي الترســـانة العامـــة مـــن المصـــطلحات والأســـاليب والتعـــابير والصـــيغ التـــي يســـتعملها ميـــدان معـــين ويتميـــز بهـــا وتكـــون ســـمة مـــن ســـماته ورمـــزا لميدانـــه، فمتـــى نطـــق بالكلمـــة منهـــا ترســـم مباشـــرة حـــدود ذلـــك المجـــال أو الميـــدان فـــي الـــذهن ... وكـــل ميـــدان يأخـــذ مـــن اللغـــة مـــا يســـاعده ويســـر

التعامل والتفاهم فيه، وما يعبر عن مفاهيمه ومقتضياته ومتطلباته. " فاللغة المستخدمة في الجيش تختلف عن اللغة التي يستخدمها الأطباء، وهما معا يختلفان عن لغة التجار أو رجال القانون... ترتبط لغة كل منهم ارتباطا وثيقا بالحرفة التي يؤديها.

وإذا أمعنا النظر في العلاقة التي تجمع بين لغات الاختصاص واللغة العامة نجد أنها علاقة تمتاز بالتشابك والتداخل حيث يشتركان في مجموعة من الخصائص: فهما يتداخلان ويتكاملان بل ينتميان إلى لغة طبيعية واحدة! فاللغة المتخصصة جزء من اللغة العامة، تقتات منها وتتطور بتطورها...

و لابأس من الإشارة إلى أنه لغات الاختصاص أي لغات الاقتصاد والطب والقانون والهندسة وغير ذلك من المعارف تتميز بالموضوعية والدقة من خلال استعمال أدوات لغوية مثل "نحن" واللجوء إلى المضارع واجتناب عبارات التعجب والاعتماد على الإيجاز والحجج والبراهين والأدلة، واستثمار الرموز والمختصرات.

واللغات المتخصصة عصبها المصطلح وقوامها مفهومه، ولا فرق بينها وبين اللغة العادية إلا بهما وبكونها ترمي إلى منتهى الدقة وأقصى الإيجاز وغاية الإفادة والعلم. إنهما تشتركان في اقتضاء السلاسة والفصاحة والبلاغة والبيان، أي تسلسل عناصر الجملة وتناسقها وعدم تنافرها وتبليغ المراد منها وجلاء الفكرة من ورائها في أناقة وحسن ديباجة، وإن كان ذلك في العلم أولى و انفع، لأنه السبيل إلى الرقي والنص فيه أداة المعرفة إذا تجلى ووعاؤها إذا استقام واستوفى..

يمكن القول، إذن، إن مفهوم اللغة المتخصصة هو مفهوم براغماتي .... فهي تنبثق من اللغة الطبيعية للتعبير عن معارف متخصصة أي أنها توظف

في مواقف تواصلية قصد نقل معلومات تنتمي إلى حقل من حقول المعرفة. وهذه اللغة ليست مجرد تجميع للمصطلحات ضمن حقل معرفي معين، وإنما هي أيضا أبنية لغوية، نحوية وصرفية، نستعمل منها ما يلبي حاجاتنا إلى تبليغ مقاصدنا سواء بالمشافهة أو الكتابة وبتعبير آخر: إن هذه اللغة ليست قائمة مصطلحات تخصص فحسب بل هي أداة ناقلة لمعارف خاصة، ترتبط بممارسة تقنية تخص مجالا معينا ...

لقد أثبتت لغات التخصص أو اللغات التقنية اليوم وجودها في مجالات الحياة العلمية والاقتصادية بشكل أكيد وواضح، حتى باتت أهم محرك للتطور المعرفي والتكنولوجي. وليس غريبا أن تسعى الدول إلى التحكم في لغاتها التقنية وترقيتها قصد اللحاق بالعالم المتطور في مختلف المجالات. ولعل لغتنا العربية أحوج من أي وقت مضى إلى المصطلحات العلمية الدقيقة لتكون قادرة على ملاحقة التقدم العلمي

و التقني في مختلف الأصعدة المعرفية. إن اللغة التي نرغب فيها اليوم هي اللغات المستعملة في المؤسسات العلمية والصناعية والتكنولوجية والاقتصادية وغيرها، اللغات البراغماتية التي تنبثق من مختلف ميادين العلم والمعرفة. فمثل هذه اللغات وحدها تساعدنا على مواجهة التحديات المفروضة علينا من كل مكان.

إنّ أقسام الترجمة في المعاهد والأقسام المتخصصة تواجه اليوم الكثير من التحديات خاصة فيما يتعلق بتخريج مترجمين متخصصين أكفاء.

فقد أصبحت الترجمة المتخصصة ، مع انتشار العولمة واكتساحها كل مجلات الحياة، والتطور التكنولوجي والعلمي، وانتشار وسائل الاتصال السمعي البصري، وظهور الشركات المتعددة الجنسيات، والمنظّمات الدولية.... الخ، وكثرة النصوص وتعددها: من نصوص إشهارية وسينمائية

وعلمية وقانونية وسياسية ... الخ، من أهم الترجمات وأكثرها طلبا، لما لها من أهمية في تنشيط الاقتصاد الوطني وتطويره، وتسهيل التواصل مع المجتمعات والشركات والمنظمات العالمية. ولذلك وجب على الجامعة تكوين مترجمي المستقبل تكوينا جيدا، من أجل تلبية الطلبات المتزايدة على المترجم المتخصّص الكفء في شتّى المجالات.

ولا يتأتّى ذلك التكوين الجيد إلا من خلال الاهتمام بعملية تعليم لغات الاختصاص على اعتبار أنّ هذه الأخيرة هي التي تمكّن الطالب في أقسام الترجمة من الاطلاع على المصطلحات الخاصة بكل تخصص، وبالتالي إعدادهم للترجمة المتخصّصة.

وبما أنّ تدريس لغات الاختصاص في أقسام الترجمة يتطلّع إلى تمكين المتعلم من فهم نصوص عديدة من لغات مختلفة في عدّة مجالات وتخصّصات، والتحكم في تقنيات ترجمتها.

الترجمة المتخصصة هي تلك الترجمة التي تتعلق بنصوص التخصص مثل التخصص العلمي، الاقتصادي، القانوني .... فهذه الترجمة، شأنها شأن

فروع المعرفة، تتشعب إلى تخصصات مختلفة، وتتسع دائرة تشعب فروع الترجمة بقدر تشعب فروع المعرفة المختلفة. فهناك الترجمة الصحفية والترجمة الطبية، والترجمة القانونية والترجمة الاقتصادية ... ويتسم كل فرع من فروع هذه الترجمة بخصائص وأساليب معينة ....

واللافت للنظر أنّ الترجمة المتخصصة تذكر في البحوث والدراسات الترجمية بتسميات مختلفة:

الترجمة التقنية الترجمة المهنية)، الترجمة التداولية و الترجمة العلمية وهي ذات علاقة وطيدة بلغات الاختصاص أو اللغات المتخصصة.

يقول ماثيو قيدر **M.Guidère** معلقا على تطور الترجمة المتخصصة:

"إذا توجب علينا إعادة رسم مسار تطور هذا النشاط، لنقل بان الترجمة المتخصصة قد بدأت كترجمة علمية و تقنية ثم تحولت إلى ترجمة "اللغات و النصوص المتخصصة"، قبل أن تصبح ترجمة "وظيفية وتداولية".

يقصد بالترجمة المتخصصة، إذن، ترجمة نصوص ذات طبيعة تقنية أو علمية أو تكنولوجية.

وغالبا ما يقابل الباحثون بين الترجمة الأدبية والترجمة العلمية: الأولى غايتها جمالية أمّا الثانية فتسعى إلى نقل المعلومات والأفكار، ملتزمة الموضوعية والدقة والأمانة في التعبير عن الفكرة التي تريد توصيلها.

الأولى قد تحتاج إلى الشرح والتأويل لأنها تتعامل مع الخيال والعواطف، أمّا الثانية فتواجه المصطلحات والأساليب الخاصة التي يستخدمها العلماء والمختصون في ميدان من ميادين المعرفة.

وغنى عن القول إنّ صعوبة هذه الترجمة المتخصصة تكمن أساسا في موضوع التخصص والمصطلح وقواعد اللغة والأسلوب. فهي نصوص جافة تخلو من الجماليات والتنميق والزخرفة.

ويطلق جان دوليل على هذا النوع تسمية "الترجمة التداولية" أي "ترجمة نصوص تهدف أساسا إلى حمل معلومة و لا يكون فيها المظهر الجمالي هو المظهر المسيطر. فمثل هذه النصوص، في رأيه، مميزة، لانّ صعوبة ترجمتها تعود إلى المعلومات التقنية التي تحملها. «يكفي -مثلا-قراءة الإرشادات المكتوبة بحروف صغيرة على وثيقة تجارية بسيطة أو على عقد تأمين أو أدلة استعمال حتى تنشأ لدينا قناعة بأنّ اللغة المستخدمة وحدها تشكل صعوبة في الترجمة، فضلا عن المفاهيم الخاصة المتضمنة.

ومما لا شكّ فيه أنّ أهمية الترجمة المتخصصة قد تعاظمت، في هذا العصر، مع تفجّر ثورة المعرفة وتطور وسائل الإعلام والتكنولوجيا. فهي تشكل رافدا من روافد المعرفة، خصوصا وأنّ تفجر ثورة المعلومات وزيادة معدلات إنتاج هذه المعلومات يوميا وبلغات مختلفة أصبح يشكل تحديا للشعوب والأمم ...وليس غريبا أن يقوم المترجمون المتخصصون في ميادين المعرفة باستخدام كل التقنيات المتاحة مثل البحث الوثائقي والمصطلحي وشبكات الاتصال والمكتبات الالكترونية و غيرها. لقد أصبحت الترجمة تدرس اليوم على أعلى مستوى في أنحاء العالم، ليس فقط بهدف تكوين مترجم جيّد، وإنما بهدف الحصول على مترجم محترف قادر على المنافسة في سوق العمل العالمي.

و في الأخير نؤكد على أن اقتراح استراتيجيات فعّالة لتدريس الترجمة المتخصصة يتطلب تصورا ناضجا لما نريده لطلبتنا ... و من الضروري المراهنة على استراتيجيات يستفيد الطلبة من أهدافها و ميكانزماتها التربوية و المعرفية، استراتيجيات تنمي المؤهلات و تعمل على التكوين المتكامل الذي يستثمر طرائق الترجمة المتنوعة.

المراجع و المصادر

1- ألبير (أمبارو أورتادو)، الترجمة و نظرياتها، ترجمة علي إبراهيم المنوفي.

2- جريو (داخل حسن)، الترجمة العلمية و متطلبات التعريب، بغداد، منشورات المجمع العلمي، 2006 .

3- الجوهري (أحمد)، درس الترجمة، نحو منهجية متماسكة لديداكتيك الترجمة العلمية، مكناس، مطبعة مصعب، 1995

4- حسين (كوثر)، اتجاهات حديثة في المناهج و طرق التدريس، القاهرة، عالم الكتب، 2001

5- خورشيد (إبراهيم زكي)، الترجمة و مشكلاتها، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، 1985.

6- دوريو (كريستين)، أسس تدريس الترجمة التقنية، ترجمة هدى مقنس، بيروت المنظمة العربية للترجمة، 2007.

7- الربيعي (محمود داود)، طرائق و أساليب التدريس المعاصرة، عمان، عالم الكتب، 2006.

8- شاهين (عبد الحميد)، استراتيجيات التدريس المتقدمة، الإسكندرية، دبلوم في التربية، 2011.

9- صبحي (كاميليا)، تدريس الترجمة التقنية من مدخل منظومي، مجلة "المترجم" ع 20، 2009.